التصوير البلاغي لآيات الزينة والجمال الأعجاز القرآني والمعطيات الأسلوبية

الكلمات المفتاحية :التصوير ، الجمال ، الاسلوبية

البحث مستل من أطروحة دكتوراه

باسم محمد علي السامرائي
Dr.basim.alsamrrail@gmail

أ.د.مريم محمد جاسم حميد المجمعي أ.م.د. عبد الوهاب حسين خلف الجبوري
جامعة تكريت /كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الانسانية
Meriam_mohmed@yahoo.com abdalwahhab987@gmail.com

الملخص

إنّ التصوير البلاغي لآيات الزينة والجمال في ضمن مباحث علم البلاغة يتطرق إلى الإعجاز القرآني وإلى المعطيات الأسلوبية التي أفرزتها تلك الآيات ، والكشف عن تلك المظان البلاغية ودلالته ، وفي توظيف تلك الصورة وسبر أغوارها وتذوق جمالها والتعمق والتفكر بآلاءِ خلق الله وبديع صنعه بما يزيد إيمان المتلقين ويقينهم بأنَّ الذين خلق السماء وزينها بالكواكب والنجوم لقادر على أن يحييَّ الموتى وأنه كما خلقهم من العدم وسيبعثهم ليوم تشخص فيه الأبصار ذلك يوم القيامة .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمد الذاكرين الشاكرين المنبين المستغفرين بالأسحار ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبيُ المختار ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار.

وبعد.. فإن دراسة (التصوير البلاغي لآيات الزينة والجمال – الأعجاز القرآني والمعطيات الأسلوبية) ليس بالأمر اليسير ويحتاج من الباحث التعمق في أسرار ما أودعه الله في كتابه المعجز من صور معنوية وأخرى حسيّة ، ما هو ظاهر في آلائه وبديع صُنْعِهِ لعباده ، وبين ما هو مخفي لا يتذوقه إلا مَنْ مَنّ الله عليهم بواسع فضله ليستخرج مكنون خزائن جواهر علمه الثمين.

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولتها الكشف عن التصوير البلاغي في جانب مهم من أساليب التصوير البلاغي في القرآن الكريم .

بيّنتُ في هذا البحث وظيفةَ الصورة البلاغية في آيات الزينة والجمال ودلالته في القرآن الكريم (الصورة الجمالية ، والدينية ، والاجتماعية ، والنفسية) وتأثيرها المباشر في مجال الدعوة ، وما بحثي هذا إلا نواةٌ في غاية ألتمس بوساطتها شرف الانتماء إلى سجل الباحثين في الدراسات القرآنية خدمة لكتاب الله المبين ولشريعة سيد المرسلين صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد اختار الباحث عينات للبحث تخص دلالات التصوير الفني قرآنيا متتبعا الجمع بين مواضع الاستعمال القرآني وإبراز الصورة البلاغية في آيات الزينة والجمال معتمدا منهجًا وصفيًا تحليليًا يقترب في بعض إجراءاته من المنهج الأسلوبي وإن ميدان العمل يعتمد على الخيال والابتكار والمشهد وليس آيات الألفاظ فحسب .

تقوم هذه الدراسة على خمسة مباحث مع تمهيد وخاتمة ، تحدث التمهيد عن التصوير البلاغي لآيات الزينة والجمال وما تكَشّفَ عنها من أنساق جمالية ، وفيما يأتي عناوين المباحث :

أولا : التصوير البلاغي لغة واصطلاحا

ثانيا : التصوير وعلاقته بالخيال

ثالثا : توظيف اللغة والخيال في صنع الصورة

رابعا : الإعجاز القرآني

خامسا : المعطيات الأسلوبية

وتزهو كتب التفسير ، والحديث النبوي بمباحث وملاحظات علمية كثيرة وفاعلة أفاد البحث منها ، وسبقتني دراسات بحثت في الزينة والجمال بطرائق منها ما تحدّث في زينة المرأة فوجدت فصلاً في كتاب (المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم) للدكتور عبد الكريم زيدان ، وكتاب (زينة المرأة في الشريعة الإسلامية) لعبير أيوب الحلو ، وهي رسالة ماجستير موضوعها الزينة وحقيقتها ، واطلعت على بعض المقالات والبحوث الالكترونية عبر شبكة الانترنت . ووقف البحث عند أمهات الكتب ، والمصادر ، وفي مقدمتها كتب تفسير القرآن الكريم ومنها تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري(ت ٣١٠ هـ) وتفسير الكشاف للزمخشري(ت

٥٣٨ هـ) ، والتفسير الكبير للفخر الرازي(ت ٦٠٦ هـ) ، وتفسير روح البيان للآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، وكتب الحديث الشريف ومنها صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ)) ، وصحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) ، وكتب اللغة ومنها فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، وكتب البلاغة ومنها(أسرار البلاغة ، دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ) .

التمهيد : (التصوير البلاغي وآيات الزينة والجمال ، و الأسلوبية – التعريف بالمفاهيم)

القرآن الكريم كتاب الله الخالد المتعبد بتلاوته أنزله الله تعالى على نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم تأييدا لنبوته ومعجزة كبرى له ، فكل نبي له كتاب ومعجزة لكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كتابه معجزته ومعجزته كتابه.

ومن لطائف أسراره ، وأبرز صور إعجازه ، بلاغتُهُ التي عجز عن مجاراتها فصحاء العرب وشعراؤهم لجمال أسلوبه الذي أسَرَ ببنائه قلوبهم ، وأذعنت لإعجازه وبليغ حجته عقولهم ولا نبالغ إذا قلنا إنَّ من أوضح صور إعجازه (الصورة الفنية فيه) والتي تناولها السابقون وتوقف عندها المحدثون وسبروا أغوارها وبحثوا عن جمالياتها ، والقرآن يتحدث عن جمال الإنسان وبديع صنع الخالق العظيم ، يقول ربنا تبارك وتعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة غافر :٦٤ ، ويظهر سبحانه جميل صنعه بقوله ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ التين: ٤

والزينة والجمال حين يتجسدان في الشكل والصورة فيقينا أنهما يتجسدان في سلوك الإنسان في قوله وعمله وفي أخلاقه وفي معاملاته مع الآخرين. خاطب الله تعالى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اشتد أذى الأعداء والمشركين عليه وعلى أصحابه رضوان الله عليهم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ المزمل: ١٠ ، ويخاطبه خطاب جمال وجلال في موضع آخر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ المعارج: ٥ .

ولو أنعمنا النظر في تتبع آيات القرآن الكريم لوجدنا الحديث عن آيات الزينة والجمال يغلب عليه طابع الزهو والبهاء والصفاء والنقاء وسلامة سريرة المتلقي المتفكر بآلاء الله ويتضح جليا صور الحب الصادق الممزوج بالسمو الروحي والعقلي لخالقهم المبدع سبحانه الذي ميَّزَ من تشربت نفوسهم بحبه والتأثر بمكنونات أسراره عن غيرهم ببهاء وجوههم وفطنة عقولهم وسلامة أقوالهم وأفعالهم.

وتتجسد صورة الزينة والجمال في القرآن الكريم في سرد يظهر جمال صنع الله وجمال خلقه حتى في الحيوانات التي أنعم بها سبحانه وتعالى على بني البشر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ النحل: ٥ – ٦ ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٨ ، ويخطئ من يعتقد أن القرآن الكريم والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم يمنعان أو يحرمان الناس من الزينة والجمال كما يصور ذلك أعداء الإسلام ، بل العكس هو الصحيح إنّ القرآن الكريم يدعو الناس إلى التمتع بطيبات الحياة التي وهبها الله لخلقه من غير إسراف أو مغالاة أو حرمان .

*وتحيل لقطة الصورة في القرآن الكريم إلى عوالم الخيال المصنوع والمقترن بالابتكار . وتحتل الصورة البلاغية مكانة مهمّة في الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية ؛ لأنَّ الصورة هي جوهر الأدب، وبؤرته الفنية والجمالية .

والتصوير : هو (الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم بما تعبر عنه الصُورَةِ المُحَسَةِ والمُتَخَيَلةِ عن ما يختلج الذهن والنفس من صور محسوسةٍ ومنظورةٍ). وطريقة تناولنا لعينات البحث هي طريقة ذوقية ترتبط بعنوان البحث (التصوير البلاغي) الذي يؤكد طبيعة المنهج الأسلوبي.

الأسلوبية (Stylistics') : هي محاولات منهجية لدراسة الأسلوب من داخل اللغة وتَتَبَّع مواطن المغايرة في التعبير (شحنات الخطاب) ومحاولة تعليل هذه المظاهر من خلال علوم اللسانيات.

ويتضح مفهوم التصوير البلاغي من خلال كونه ظاهرة فنية في كل أشكالها تنقل النص من حالته التقريرية غير مرئية إلى حالة ترى بالبصر وبالبصيرة.

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث الموسوم بـ (التصوير البلاغي – الإعجاز القرآني والمعطيات الأسلوبية) في وجود لمسات بيانية وأساليب بلاغية وصيغ جمالية في آيات الزينة والجمال وهي من بين الإشراقات القرآنية والصورة البلاغية التي تظهر بلاغة هذا الكتاب المعجز الذي لا تنقضي عجائبه.

هدف البحث والمنهج المتبع :

يهدف البحث إلى الوقوف على التصوير البلاغي وإماطة اللثام عن مكنونات جماله واتساقه ووقعه وتأثيره على المتلقي ، والمنهج المتبع هو (المنهج البلاغي) الذي يقترب في بعض إجراءاته من المنهج الأسلوبي.

أولاً : التصوير البلاغي لغة واصطلاحًا :

لكي ندرك آفاق التصوير الفني الرحبة وخاصة في القرآن الكريم وجب علينا أن نتوسَع في معرفة معنى التصوير وأنواعه وأساليبه وألوانه وتأثيره . فالتصوير بالتخييل ، والتصوير باللون ، والتصوير بالحركة ، والتصوير بالنغمة ، كل ذلك نحتاج فيه إلى معرفةٍ وتمحيص يفتح لنا آفاق التصوير وكنهه. ويؤكد ما ذهبنا إليه قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأعراف : ٤٠.

التصوير البلاغي لغةً : جاء في المعجم الوسيط : صوره ((جعل له صوره مجسمة، وفي القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ آل عمران: ٦)) [1] . والصورة : من صور يصور تصويرا ، وصَوّرهُ : جعل له صورة مجسمة ، وصَوّرَ الشخص : أي رسمه على الورق أو على الحائط ... ونحوهما ، بالقلم أو بآلة التصوير.

وهو جعل الشيء على صورة لم تكن، ومن أسماء الله تبارك وتعالى المصوّر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحشر : ٢٤ ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ آل عمران: ٦ ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى

جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ غافر: ٦٤ .

التصوير البلاغي اصطلاحًا : هو تمثيل شبه أمين لجزء من الحياة الواقعية ذات وجوه متعددة.

وقيل : هو (نقل شكل وهيئته بواسطة الرسم أو الالتقاط بالآلة أو النحت، وإثبات هذا الشكل على لوحة أو ورقة أو تمثال) [٢] ؛ لأنَّ البلاغة تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحقيقة ولأن الصورة البلاغية أو الخطابية قائمة على التشبيه والاستعارة ، وتشترك الصورتان معا في عنصر المشابهة والتماثل وصنع الصور التي هي تمثال الشيء أي: ما يماثله ويحكي هيئته التي هو عليها سواء أكانت الصورة مجسمة (ذات الظل أم كانت غير مجسمة غير ذات الظل) [٣] .

لا شك فيها أن تصوير الخلق هو من أفعال الله وحده، وأن من أسماء سبحانه المصور، وأن الله قد اختص بتصوير خلقه وإبداعهم على أحسن صورة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحشر: ٢٤ ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ الانفطار: ٦ – ٨ ، وخلقنا وتصويرنا يدرج ضمن بابين او طريقين :

الأول : تصوير سيدنا آدم عليه السلام ، الذي خلقه وصوره رب العزّة تبارك وتعالى بيده ثم نفخ في الروح.

الثاني : تصوير ذريّة سيدنا آدم عليه السلام وهم في عالم الأرحام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ آل عمران: ٦

ثانيًا : التصوير وعلاقته بالخيال (Imagination)

إنَّ التصوير : سمة واضحة الدلالة ، وملمح أسلوبي متفرد ، أتخذ تفردَهُ من نفس المعين اللغوي وله خصوصية تميزه وهو نمط من أنماط الأسلوب البياني الذي بلغ حدَ الإعجاز، يذهب الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) إلى القول : ((لا يكون الكلام

يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك)) [٤] .

الخيال : هو عبارة عن ملكة وطاقة وهبها الله تعالى للإنسان دون غيره ؛ ولولا وجود الخيال لما استطاع الإنسان أن يتماهى مع الطبيعة وزينتها وجمالها ، قال تبارك وتعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء: ٧٠ .

فالخيال: هو المولد للتفكير والباعث عليه وآيات الزينة والجمال حافلةٌ بالإشارةِ إلى العقل والخيال بل وأوردت التفكير صراحة أو إشارة .

إنَّ كل إبداع بشري محسوس أو ملموس لم يكن ليرى النور والبزوغ لو لم تكن مادته الخيال المرتبط بداهة بالعقل الذي بدوره أظهر إبداعه في حمل الإنسان في البر والبحر وتطور طبيعة حياته بإطاريها المادي والاقتصادي فضلا عن ما أنتجه من دلالات محسوسة ومؤثرة اهتدى بها وعن طريقها ، خلقٌ كثيرٌ نبذوا عبادة من لا يستحق أن يعبد وتوجهوا لعبادة الواحد الأحد . ولو أنعمنا النظر لوجدنا في كتاب الله القرآن الكريم ، ولا سيما في آيات الزينة والجمال نجد ما يحفزنا على إطلاق العنان لعقولنا لكي تتخيل وتبدع في رسم الصورة بما يزيد في إيماننا وتوحيدنا وثقتنا برحمة ربنا وعظمته سبحانه وببلاغة كتابه المعجز.

الخيال لغة : قال الجوهري ((وفلان يمضي على المُخَيَّلِ: أي على ما خَيَّلْتَ أي شَبَّهْتَ، يعني على غَرَرٍ من غير يقين. وخُيِّلَ إليه أنّه كذا، على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، من التخييل والوهم)) [٥] .

الخيال اصطلاحاً : عرّفَهُ عبد القاهر الجرجاني فقال((هو قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة ، بحيث يشاهدها الحس المشترك كلّ ما التفت إليها، فهو خزانة للحس المشترك)) [٦] ، وبين ثنايا القرآن الكريم نجد الصورة التخيلية المدهشة ، سمة بارزة تجوب بالنفوس والعقول الآفاق ، وتفتح مخابئ كنوز العلوم ، وتستخرج دررها ، وتتذوق جمالها ، وتلمس زينتها ، وتحس بقيمتها ، فسبحان من أودع في أجسادنا عقلا كرمنا لأجله ، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ الإسراء: ٧٠ ، وجعل لهذا العقل خيالاً يتحسسُ بديعَ ما

خلقَ اللهُ ، ويتحسس عظمة من يقول للشيء كن فيكون ، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾آل عمران: ٦ ، دليل علم بكل خفي ، وهو لا شك دليل وجداني واقعي لا يَكّدُ الذهنُ في فهمه وتخريجه قال تعالى ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤ .

ثالثًا : توظيف اللغة والخيال في صناعة الصورة :

الصورة (Image) : هو أسم ، والجمع صُورات و صُوَر و صِوَر ، والصورة : الشَّكْلُ ، والتمثالُ المجسّم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ الانفطار: ٨ .

أما التصوير: فهو تصوير شخص أو شيء في القصيدة من خلال التَّشبيه والاستعارة وغيرهما من الصُّور المجازيّة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ آل عمران: ٦ ، والفرق بين الصورة والتصوير يتجلى في أنّ الصورة مائلة إلى شبه وهيئة ، وإنَّ التصوير قد يراد به التساوي أو الاختلاف .

وغالباً ما ترتبط اللغة والخيال بالعاطفة بشكل وثيق ، والمتتبع لآيات الزينة والجمال يجد ذلك جلياً وواضحاً ، فتأثير اللغة وسحرها يجعل خيال وشعور المتلقي وعاطفته عالية وواسعة في ملكوت رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ولينهل من رحيق جمال جلال آي الذكر الحكيم ويقف متفكراً متأملاً في صور أهل النعيم ، وحذراً مستغفراً آملاً النجاةَ من مشهد صور أهل الجحيم ، وما ذاك إلا بدقة توظيف اللغة والخيال المنطقي في صنع الصورة وفي أسلوب التنزيل المجيد ونظمه الرائع الفريد. ومما لا ريب فيه أن يكون الأسلوب موحداً وحاضراً بقوةٍ بين ثنايا تلك الآيات في القرآن الكريم ووحدة الموضوع والفكرة فهو ثابت وواضح المعالم .

وتأتي الصورة الفنية ذات البصمة الربانية في القرآن المنزل على خير البرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة العالمية لتترك في النفس وقعا وتأثيرا قوياً ، ويظهر ذلك جلياً في إثارة الخيال والمشاعر وإضفاء حس جمالي في ذائقة المتلقي والتي يهيم بها قلوب المتلقين في ملكوت رب العالمين.

وسعى عبد القاهر الجرجاني (ت٤١٧ هـ) إلى إبراز مفهوم (النظم) وعدّهُ دليلا قوياً على إعجاز وجمال القرآن الكريم وأنه لا يغفل عن صورة الكلمة وبنائها ،

وفي القرآن الكريم ما هو أعلى من ظاهر البلاغة وفصاحة اللفظ إنه التناسق في صياغته ففي قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ ﴾ فاطر: ٣٦ – ٣٧ ، خيال شاسع ، ووصف رائع ، جرس العبارة الغليظ ، غلظ الصراخ والعويل الذي يصدر ممن استقروا في جهنم واستوجبوا عذاب الله ، ذلك الصراخ الرهيب والمخيف يقابله ذلك الإهمال وعدم التجاوب معه ، صورة خيالية حقيقية من العذاب المهين لمن اتبع طريق الشياطين ونبذ عبادة الرحمن الرحيم ، فهم يصطرخون وليس لهم شفيع ولا مجيب ، وهنا لا بد أن نقف أمام عظمة واقتدار من أنزل القرآن الذي فيه التبيان حين جعل لفظا واحداً هو لفظ ﴿ يَصۡطَرِخُونَ ﴾ بهذه الصورة المخيفة ، ذاك يعني أن التناسق البديع ، يقف ورائه منشئٌ مبدعٌ مصورٌ هو ربّ العالمين .

المثال الاول : قوله تعالى﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ﴾ الأعراف: ٥٠ ، هذه الآية الشريفة تبين صورة تخيلها أصحاب النار وهم في العذاب المقيم بعد أن كذبوا بما جاءهم من الآيات والذكر الحكيم ، ولخيالنا أن يتسع في رؤية هذا المشهد المهيب ، والتصوير الرهيب ، فهم طلبوا الماء أوّلاً لِمَا في بواطنهم من الاحتراق الشديد .

المثال الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠ ﴾ النمل: ٦٠ ، تصوير يحار المرء فيه لعذوبته ، وينشغل بإعجازه الذهن ، ويعجز عن إدراك أسراره الفهم ، تحدى فأعجز ، ووعد فأنجز ، وأمام بيانه وسحر جماله عجز المُتَحَدَى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥ ﴾ لقمان: ٢٥ ، بمعنى: هم يعترفون بأن الله خالقهم لكنهم يعبدون غيره قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾جاء الإخبار عنهم بالمضارع لإفادة أنهم مستمرون على شركهم لم يستنيروا بدليل العقل ولا أقلعوا بعد التذكير بالدلائل ، يقول الإمام الطبري: ((يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التي لا تضر ولا تنفع خير ، أم عبادة من خلق السموات والأرض ؟ وأنزل لكم من السماء ماء ، يعني: مطرا ، وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التي فجرها في الأرض ؛ لأنَّ كل ذلك من خلقه (فأنبتنا به) يعني بالماء الذي أنزل من السماء (حدائق) وهي جمع حديقة ، والحديقة : البستان عليه حائط محوط ، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة . وقوله (ذات بهجة)يعني : ذات منظر حسن . وقيل ذات بالتوحيد . وقد قيل حدائق)) [٧] .

ويقول صاحب التحرير والتنوير((أَمْ : مُنْقَطِعَةٌ بِمَعْنَى (بَلْ) لِلْإِضْرَابِ الِانْتِقَالِيِّ مِنْ غَرَضٍ إِلَى غَرَضٍ مَعَ مُرَاعَاةِ وُجُودِ مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ أَوْ لَفْظِهِ بَعْدَهَا لِأَنَّ (أَمْ) لَا تُفَارِقُ مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ. انْتَقَلَ بِهَذَا الْإِضْرَابِ مِنَ الِاسْتِفْهَامِ الْحَقِيقِيِّ التَّهَكُّمِيِّ إِلَى الِاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ، وَمِنَ الْمُقَدِّمَةِ الْإِجْمَالِيَّةِ وَهِيَ قَوْلُهُ﴿ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النَّمْل: ٥٩ ، إِلَى الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ وَهُوَ الِاسْتِدْلَالُ)) [٨]

المثال الثالث : كيف تم توظيف اللغة ومنها الدعوة لإعمال الفكر وإطلاق العنان للخيال الحقيقي في تلمس قدرة الخالق العظيم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ يس: ٧٠ ، هذه الصيغة في علم البلاغة استفهام إنكاري ، والإنسان إذا عُرِّفَ بـ (ال) فهذا تعريف جنس الإنسان ، وهي تفيد الشمولية ، ذلك يعني: أن كل إنسان مزود بقوى إدراكية تعينه على معرفة خالقه من خلال الآيات التي بثها في الكون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ فكأن الله جل جلاله يحض الإنسان على أن يرى عظمة الله من خلال خلقه ونشأته فالتوظيف اللغوي هنا يستدعي مكامن العقل ويطلق لها العنان للتفكر بما خلق الرحمن ، جاء أبي بن خلف إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يفتته ويذريه في الهواء وهو يقول(يا محمد من يحيي هذا وهو رميم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله يحييه ، ثم يميته ، ثم يدخلك النار) نزلت هذه الآيات من آخر سورة يس.

ويذهب الإمام الآلوسي إلى أن هذه الآية فيها من التفكر والخيال الحقيقي والعبر ما يدعو لإعمال الفكر بقوله ((كان الفارابي يقول وددت لو أن أرسطو وقف على القياس الجلي في قوله تعالى قل يحييها إلخ. وهو الله تعالى أنشأ العظام وأحياها أول مرة، وكل من أنشأ شيئا أولا قادر على إنشائه وإحيائه ثانيا، فيلزم أن الله عز وجل قادر على إنشائها وإحيائها بقواها ثانيا)) [٩] .

المثال الرابع : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة: ١٦٤ ، في هذه الآية الكريمة تزدحم المشاهد الفنية ، والعجائب الإلهية ومنها ينطلق الخيال ، وتبرز مشاهد ذلك الجمال اختزلت هذه الآية العالم كله في كلمتين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ البقرة: ١٦٤ ، وهاتان الكلمتان ألغتا بعداً مكانياً ، واخترقتا بعداً زمانياً ، لتطلقا العنان للخيال أن يجوب أقصى الأرض شمالا أ و جنوباً ، شرقاً أو غرباً ، تتفكر بالواهب الأحد باسط الأرض على ماءٍ جمد سبحانه ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ٣ – ٤ ، ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: تعاقب الليل والنهار، شروق ينطق حيوية وحياة ، وغروب تسكن معه الروح ، صورة ملؤها الجمال ، وتعبير يأسر القلوب ، فتبارك الله رب العالمين ، وإذا أنعمنا النظر ودققنا البصر وجدنا أن من خلق السموات والأرض وما فوقهما وما تحتهما ، وسخر الرياح تارةً تسوق الغمام أنى شاء الملك الجبار ، وتارة لواقح للأشجار ، وتارة تكون وبالاً على الكافرين في الليل وفي النهار ، نعم وخيرات متنوعات أُجْمِلتْ كلها في آية واحدةً جامعةً عاصمة قوله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ البقرة: ١٦٣ .

المثال الخامس : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الروم: ٤٨ ، في النص الكريم تصوير بلاغي يُبَرِّزُ الخيال وكيف

تم توظيفه مع اللغة ، وتوظيف التقابل والتناظر لأثارت النظر وتحفيز الحس والفكر في رسم صورة مشهد قرآني يملئ النفوس بهجة وسروراً ويدعو للتفكر والتأمل ، ذلك صنع الله رب العالمين.

رابعًا : الأعجاز القرآني :

القرآن الكريم معجز بأسلوبه الفريد ونظمه البديع وأن هذا الأسلوب هو مادة ذلك الإعجاز. ولامس القرآن أوتار القلوب فاهتزت له العواطف وتحركت له المشاعر وسالت له الدموع وفرت لجلاله وجماله وكماله قلوب أساطين البلاغة وفحول البيان مقرين بأنهم أمام نظم ووحي سماوي لا يقدر على مثله مخلوق ، ومن أسرار هذا القرآن المعجز ، أنه لا يكفي النظر إلى آيات الزينة والجمال المكتوبة حتى نتذوق أصواتها، بل لا بدّ من تلاوتها والتلفظ بها ، حتى نقف على روعة بنائها الصوتي والموسيقي ، والناظر الى آيات الزينة والجمال ، يجد تلاءم حروفها ، وعدم تجافي مخارجها ، وليس فيها شذوذ ولا وحشية ، فكلمات القرآن ذاتها على حسب الباقلاني في كتابه(إعجاز القرآن) لها دلالتها وفصاحتها الخاصة وإن تخيرها يدل على قدرة قائلها ، وعلو بيانه ، واللفظة القرآنية هي أفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف ، وأن لها بلاغة خاصة بأدائها ، وقد درست آيات الزينة والجمال النظرة المثالية لمظاهر الطبيعة الغنَّاءْ .

خامسًا : المعطيات الأسلوبية :

الأسلوب : (هو Style): علم دراسة الأسلوب هو الأسلوبية – (StyliHicS) والمعطيات الأسلوبية تعني معاني التحويل ، ومما لا شك فيه أنّ للتعبير القرآني لمسات وصور فنية رائعة تبهر المتلقي وتأسر قلبه وتدلّ على أنّ هذا القرآن كلام صيغ صياغة فنية مقصودة ومحكمة ونُسج نسجاً محكماً فريداً منسجما.

استهدف البحث دراسة آيات الزينة والجمال وإنَّ حدود البحث آيات فيها مشاهد الزينة وليست لفظة الزينة والجمال فحسب ، وتتبع الظّواهر الأسلوبية البارزة فيها والمعاني البلاغية الملازمة لها كالتكرار، والاستفهام والتصوير الفني الذي يتكئ على التشبيه والاستعارة والصور.

لا يخفى على احد أن البلاغة القرآنية تحتاج في مسيرها إلى البحث والتتبع والاستقراء التام لاستنباط الحكم مع القياس الدقيق للأحكام المشابهة للوصول إلى النتيجة المرجوة والمطلوبة.

وتعد الأسلوبية اتجاهاً من اتجاهات النقد الأدبي ، والأسلوب من أمهات القضايا البلاغية العربية التي تجسدت من خلال درسها مدى قدرة البلاغي العربي القديم على التفطن لسرّ جمالية الخطاب سواء أكان شعراً أم نثراً، فربط الدرس البلاغي في نظرته إلى الأسلوب بين النحو من حيث هو درس لآليات ومكونات الجملة العربية وبين توليده للدلالة داخل النص، وبذلك تجاوز الكثير من الأطروحات البلاغية التي سبقته، من مثل إشكالية اللفظ والمعنى، وأيهما الأساس في تشكيل جمالية الفضاء في الخطاب؟ تبحث الأسلوبية عن الخصائص الفنية الجمالية التي تميز نصًا ما عن نص آخر ، من خلال اللغة ومن خلال الميزات الفنية للإبداع، إذ منها نستطيع تمييز إبداع عن إبداع انطلاقاً من لغته الحاملة له.

أهم الظواهر الأسلوبية :

أولاً :التكرار : من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي ، وهو مصطلح عربي كان له حضوره عند البلاغين العرب القدامى ويشمل ذلك (تكرار القصص ، تكرار الألفاظ) وإن ((إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر به الفصاحة وتبين به البلاغة)) [١٠] ، إن تكرار الحرف أو الكلمة في تشكيل صوتي يثير انفعال المتلقي حتى يصير متفاعلا مع المعاني التي تبرزها آيات الزينة والجمال مما يكسبها انسجاماً صوتياً والانسجام((أن يكون الكلام لخلوه من الانعقاد متحدراً كتحدّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، والقرآن كله كذلك)) [١١] . ومن نماذج التكرار في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ﴾ ص: ٥١ ، التكرار هنا جرى على الجار والمجرور عند كلمة ﴿ فِيهَا ﴾ التي يعود الضمير ﴿ فِيهَا ﴾ على الجنات ، إشارة إلى مكانة هذه الجنات وبياناً لأهميتها وللتنبيه على أنّ المتقين خالدين فيها.

ثانياً : الأستفهام : ينفي الرّتابة عن النصّ، ويعبر عن معاني متولدة بحسب السياق ، وهو شكل من أشكال التنوّع في الأساليب ، وينتقل من الخبر إلى الإنشاء ويدعو المتلقي إلى التفكر والتأمّل ، وجاء الاستفهام في آيات الزينة والجمال ليحقق أغراضاً بلاغيةً أخرى كالإنكار والتوبيخ يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ ﴾ ص: ٦٣ ، جاءت الهمزة هنا للاستفهام الإنكاري وسقطت همزة الوصل استغناءً عنها. ومثال ثانٍ نجد في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ص: ٧٥، الهمزة جاءت هنا للاستفهام الإنكاري ألتوبيخي ، وهمزة الوصل سقطت استغناء عنها و﴿ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ استكبرت فعل وفاعل و ﴿ أَمْ ﴾ عاطفة متصلة ولا يمنع من ذلك اختلاف الفعلين .

ثالثاً : مستوى الصورة : الصورة في التصوير البلاغي من مجاز، واستعارة، وتشبيه، ركز عليها الباحثون القدماء ولم يكن لهم اهتمام بالتصوير الفني الذي يتماهى مع الحقيقة ويقترب منها . بيد أن علماء النقد الحديث توسعوا في مفهوم الصورة الفنية وقالوا قد تخلو الصورة من المجاز واقعاً فتصبح العبارات حقيقة الاستعمال ولتشكل صورة دالّة واضحة المعالم ، والقرآن الكريم فيه التصوير بألوانه المتعددة ، وأشكاله المختلفة ، كالتصوير باللون ، والتصوير بالتخييل ، والتصوير بالحركة ، ((وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور)) (١٢)

رابعاً : التشبيه : التشبيه في آيات الزينة والجمال في القرآن الكريم يضفي على النصّ جمالاً واستقامة ويسهم في أداء المعنى القرآني متكاملاً من جميع الوجوه. ففي قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾ ص: ٢٢ ، شبّه الحق المبين إله الناس أجمعين شبه الاعتقاد الحقّ في كونه موصلاً إلى الهدى الموصوف بالصراط المستقيم في إيصاله المكان المقصود.

وبنظرة متأملة إلى التشبيه وما يوحي به من دلالات تؤدي بالمحصلة إلى صحة وسلامة الوصول إلى الغاية المقصودة لوجدنا أن الخط المستقيم هو الطريق القويم . وهذه الصورة المفرزة من التشبيه تلامس أعماق واقع القوم الذين ولدوا ونشاؤوا وترعرعوا وعاشوا في الصحراء التي لا يعرف طقسها إلا من خبرها وعاش وسط أجوائها مما يجعلهم يتذكرون المرة تلو المرة أن السير بالاتجاه المعاكس يعني ضياعهم وخسارتهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ ص: ٦٤ ، تشبيه يصور تحاوُر أهل النار ومن يعمل بعملهم وما يدور بينهمذلك لأن قول الرؤساء لتابعيهم لا مرحبا بهم وقول التابعين بل أنتم لا مرحبا بكم لا يعدو الخصومة التي يتراشقها الطرفان.

يرى الباحث : إنّ دراسة الآيات القرآنية الكريمة المصرحة بلفظ الزينة والجمال أو المعبرة عنه في إطار التصوير البلاغي في ميزان علم الأسلوبية تكشف لنا أبعاد القرآن الجمالية أكثر فأكثر، فاستنبطنا في هذا البحث الأسلوبي بعض الأسرار الخفية فيها.

إنّ ألفاظ آيات الزينة والجمال ودلالتها التي هي عينات دراستي كتصوير بلاغي مفصح عن جمالها وتأثيرها وتنوعها وما تثيره من الخيال في تفكير المتلقين ؛ وإنّ معظم أشكال التضاد في تلك الآيات انبثقت من العلاقة بين الإسلام والكفر، وبرزت دور التضاد الفاعل في إنشاء مقارنة بين نقيضين بهدف التبيين والوعظ وفي نقض أوهام الكافرين. وتبين أنّ القرآن اختار التعبير بالصورة عن المعاني التي يراد إثباتها في ذهن المتلقي باعتماد التصوير البلاغي في مجمل خطواته لتشكيل الصورة الفنية القائمة على التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية .

والصورة الفنية المحسوسة في موارد آيات الزينة والجمال المتمثلة باللغة وتراكيبها وقوانينها وجمالها ووسائل إخراجها لتضفي عليه من قوة التأثير ودوام التشويق ما يستنفر الخيال الذهني إلى معرفة كنه الآيات الكريمة ومقاصدها العظيمة وغاياتها النبيلة وبزوغ أسرارها الجميلة ما يزيد إيمان المؤمنين وما يثبت الفؤاد باليقين فتبارك الله أحسن الخالقين.

وآيات الزينة والجمال ودلالته في القرآن الكريم التي تتناول النظرة إلى الطبيعة لأهداف وغايات وهذه الأهداف والغايات لا ينفيان أن يكونا مشهدا من المشاهد هو الحقيقة بذاتها. وكل الحقائق المعروضة قرآنيا العلمية ، والجمالية ، والكونية ، لها ميدانها وحيزها ، وكل هذا يعرضه القرآن بصياغته الأسلوبية، الجمالية البديعية ؛ وكأنَّه يعرض تلك الصياغة القرآنية وليس له إلا هم واحد هو الإعجاز البياني.

والعلماء يجمعون على أن إعجاز القرآن الكريم يكمن في علاقاته الأسلوبية المتفردة بجمالها فيما يبرزه السياق بمجموعه ، وما يعرف بالشكل والصورة التي تبرز منهما جمالية الصورة ، وجمالية التعبير البلاغي ، فالألفاظ والمعاني وتلازمها وحجم العلاقات بينهما في الجملة القرآنية تجلي بوضوح رائع الإعجاز في (النظم) القرآني أكثر من أي جانب آخر.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة مع كتاب الله تعالى ، وما فيه من الجواهر في جانب من جوانب الإعجاز خرج البحث بعدة نتائج :

أولا : غالبا ما تقترن هذه آيات الزينة والجمال بعنصر الحركة ، والصورة المتحركة تكون أكثر تأثيرا من الصورة الجامدة ، في إحساس المتلقي وشعوره وانفعاله .

ثانيا : إن دراسة الصورة المتخيلة في القرآن الكريم من شأنها أن تكشف عن مضامين كبيرة ومهمة تخدم تفسير النص القرآني وتنطلق في فضاء رحب لتوسعة الدراسات القرآنية بوساطة الشواهد التي خرج بها البحث.

ثالثا : قد يحصل خلط بين الصورة والخيال فيتوهم من يعتقد أن الخيال هو امتداد للصورة بينما الحقيقة هي أن الصورة بطبيعتها تمتد إلى التصور لا إلى الخيال.

رابعا : إن طرائق التعبير الخاصة والتصرف باللغة والنظم يقود بالنتيجة إلى أن أسلوب القرآن الكريم الفريد هو مادة ذلك الإعجاز الذي تجاوز النمطية في التعبير عن القصد إلى الإبداع .

خامسا : إن دراسة آيات الزينة والجمال وبيان أسلوبية ورودها كشفت لنا أبعاد القرآن الجمالية أكثر فأكثر ، فاستنبطنا في هذا البحث بعض الأسرار الخفية فيه ، وتوقف البحث عند مستويات الأسلوبية لعينات من آيات الزينة والجمال كالمستوى

الصوتي الذي نراه قويا ومقصوداً ومضبوطاً يثير الخيال ويؤثر بقوة في المتلقي وهكذا هو المستوى الدلالي والتركيبي ومن بعده مستوى الصورة وتركيبها الفني .

سادسا : اختار القرآن الكريم التعبير بالصورة عن المعاني التي أراد إثباتها في نفوس وعقول المتلقين عبر الصورة الحسية وعبر التصوير البلاغي المعتمد على (التشبيه ، والاستعارة ، والمجاز ، والكناية) في تشكيل تلك الصور البديعة المؤثرة.

Abstract

Rhetorical Imagery of Adornment and Beauty Verses:
Quranic Miracle and Stylistic Data
An extracted research from PhD thesis
Key words: photography, beauty, stylistic

Basim Muhammad Ali Al- Samarae
University of Tikrit/ College of Education for Human Sciences
Prof. Mariam Mohamed Jassem Hameed Al-Majmaei Prof. Dr. Abdul Wahab Hussein Khalaf al-Jubouri
Tikrit University / College of Education for Humanities Tikrit University / College of Education for Humanities

The rhetorical imagery of adornment and beauty verses is one of the rhetorical science. It undertakes to the Quranic miracles and the stylistic data produced by these verses, revealing the rhetorical denotations and their semantics, using of that image, exploring its depths and appreciating its beauty and deeply contemplating the creation of Allah and creating it by increasing the faith of the recipients by the One Who creates the sky and adorned it with planets and stars, who is able to revive the dead, and that as He has created them from nothingness and sent them back to nothing, He would send them to the day when the eyes were discerned on the Day of Resurrection.

الهوامش :

١) البيان والتبيين ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الجاحظ ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ١٤٢٣ هـ ، عدد الأجزاء ٣ ، ج ١ : ١٧ .

٢) الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م ، عدد الأجزاء: ٤ ، ج ٣ : ٢٩٦ .

٣) إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ) ، تحقيق: السيد أحمد صقر ، دار المعارف – مصر ، ط ٥ ، ١٩٩٧ م ، عدد الأجزاء: ١ ، ج ١ : ٦١ .

٤) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ ، عدد الأجزاء : ٣٠ ، ج ٢٠ : ١٠ .

٥) التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب : ٣٧ .
٦) التعريفات، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، (ت ٨١٦ هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٦ م ، ج ١ : ١٠٢ .
٧) جامع البيان في تأويل القران ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، حقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، عدد الأجزاء: ٢٤ ، ج ١٩ : ٤٨٣ .
٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس) ، ج ١٢ : ٥٣ .
٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، عدد الأجزاء : ٦ ، ج ٤ : ١٦٩٣.
١٠) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، الدكتور سعدي أبو حبيب ، دار الفكر. دمشق – سورية ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، عدد الأجزاء: ١ : ٢١٢٨.
١١) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، الدكتور سعدي أبو حبيب ، دار الفكر. دمشق – سورية ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، عدد الأجزاء: ١ : ٢١٢٨.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

i. جامع البيان في تأويل القران ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، حقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، عدد الأجزاء: ٢٤ ، ج ١٩ : ٤٨٣ .
ii. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس) ، ج ١٢ : ٥٣ .

iii. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ ، عدد الأجزاء : ٣٠ ، ج ٢٠ : ١٠ .

iv. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة ، ج ١ : ٥٢٨ .

v. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ، عدد الأجزاء : ٦ ، ج ٤ : ١٦٩٣.

vi. التعريفات ، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت ٨١٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٦ م.

vii. إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ) ، تحقيق: السيد أحمد صقر ، دار المعارف – مصر ، ط ٥ ، ١٩٩٧ م ، عدد الأجزاء: ١ ، ج ١ : ٦١ .

viii. الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م ، عدد الأجزاء: ٤ ، ج ٣ : ٢٩٦ .

ix. التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب : ٣٧ .

x. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، الدكتور سعدي أبو حبيب ، دار الفكر. دمشق – سورية ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، عدد الأجزاء: ١ : ٢١٢٨